

المستخلص

عيسى عبد اللطيف مهدي . الألفاظ المحورية في شعر محمود درويش (أطروحة دكتوراه) . - بغداد: الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠١٠

خرج البحث بجملة من النتائج، نجملها على الوجه الآتي:
ظهر في الفصل الأول أن ألفاظ الارتحال والسفر قد فاقت كثيراً في عددها ألفاظ الإقامة، مما يدل على أن هاجس النزوح وعدم الاستقرار قد هيمن على أحاسيس الشاعر، وبذلك يكون قد صور حال شعبه أحسن تصوير. ولوحظ أن استعمال لفظة الوطن تركزت في الفئدة (أ) وقل استعمال مرادفاتها فيها، في حين تصاعدت وتيرة استعمال المرادفات وهي البلد وجمعها البلاد والبلدان في الفئتين (ب) و(ج)، إذ لم تحمل هذه المرادفات دلالة الرقعة الجغرافية والبعد السياسي حسب، وإنما أراد بها - أيضاً - تاريخ قاطنيتها وحياتهم الاجتماعية. وغلبت دلالة العدا على المدينة في الفئدة (أ) وتنوّعت مستويات دلالتها في الفئتين الأخريين، إذ دلّت في الكثير فيهما على السكّان أو المقاتلين، ودلّت على الغياب والفقْدان. وفي مبحث الرحيل تبين أن دلالات الرحيل أكثر ضراوة من مرادفاتها وهي السفر والهجرة والنزوح إذ ارتبط بالقتل والانسحاق، مما عبّر به الشاعر عن حقيقة معاناة شعبه ومكابداته في الغربة. وحمل السفر دلالة الهجرة في حين لم يتضمن الرحيل هذه الدلالة. ودلّت الهجرة على القطيعة، وقد وقعت في سياق الكثرة والتكرار مصوراً بذلك مأساة مواطنيه في كثرة تنقلاتهم وتجوالهم في المنافي.

وفي الفصل الثاني حفل معجم الحرب بكثرة الألفاظ وتنوعها، إذ بلغت (٥٥٣) لفظة حيث دلّت جميعها على مفهوم الحرب وما يتعلّق بها. فاستعمل الحرب والمعركة والغزو والجهاد والقتال والكر والفر والهجوم. وقد تبين أن ألفاظ الحرب قد فاقت ألفاظ السلام وقد دلّت الأخيرة على التحيّة أو الدعاء. ووفعت لفظة السلم نقيضةً للفظّة الحرب، وحملت دلالات الوداعة والعيش الهانئ.

إنّ ندرة ألفاظ السلام في مقابل الكثرة الكاثرة في ألفاظ الحرب، إنما هو دلالة على غياب قيمتها الشعورية، سواء أكان ذلك في وقت الحرب أو في وقت السلم. وفي الفصل الثالث اتضح أن لفظة الموت ومرادفاتها (الردى والمنية والحتف) اختلفت دلالاتها ليس بحسب السياق الذي وردت فيه حسب، وإنما باعتبار المراحل الشعرية وانعكاساتها المرجعية، ولاسيما الأحداث التي شهدتها الشاعر. ولوحظ أنه استعمل الردى بمعنى الموت، والحتف بمعنى المصير المحتوم. وقد جمع الميت على أموات وميتين وموتى، والأخيرة جمع تكسير زنة (فعلى) وقد غلب على سائر الجموع الأخرى غلبة ملحوظة ذلك أن معناه الهلّك والبلى مما يناسب أوضاع شعبه وما هم فيه من هلاك وبلاء.

وفي مبحث ألفاظ الحياة من الفصل الثالث، اتضح أن دلالات الحياة والميلاد قد تنوّعت وتراوحت بين المجاز والحقيقة. وكثرت الاستعمالات المجازية لهذه الدلالات. وكان للسياق الذي وقعت فيه تلك الألفاظ دور فاعل في إزاحة دلالاتها من الحقيقية إلى المجاز. فقد دلّت الحياة على العيش ووسائله. واستعملها الشاعر أيضاً بوصفها ضدّاً للموت. وفي مواضع أخرى من شعره دلّت الحياة على القوة والتواصل. كما حملت دلالات سالبة كدلالتها على الهجرة والحزن. وعلى النحو نفسه استعملت لفظة الميلاد. فمن معانيها المجازية إنها دلّت على ولادة الثورة وانبثاق الوجود الوطني.

وفي الفصل الرابع تبين أنّ تجارب الشاعر ومواجهاته في الحياة قد انعكست على رؤيته للألوان وإحساسه بها، فحملت لديه دلالات ومعاني وإحساءات نابغة من طبيعة تلك التجارب والانطباعات. ولوحظ أنّ اللون الواحد قد تتعدد دلالاته بحسب السياق الذي يرد فيه ! كما لوحظ أن دلالات الألوان لديه، بعضها شائع كدلالة الأحمر على الثورة أو الغضب أو التمرد، وكدلالة الأبيض على النقاء والطهارة. في حين أنّ بعضها الآخر أختصّ بالشاعر كاللون الأبيض في دلالاته على الإمحاء وفقدان الإحساس بالعالم.

ولوحظ أنّ دلالة الرحيل والابتعاد عن الوطن أو الإبعاد عنه قد لازمت إحساس الشاعر في جميع الفصول. ووجدت لها تعبيرات وتراكيب لغوية متباينة بحسب الموضوعات الشعرية التي تطرّق إليها الشاعر، وعالجها شعرياً.

ومن الأساليب اللغوية التي سادت في لغة الشاعر أسلوب التقديم والتأخير، فهو كثيراً ما كان يقدم المسند إليه على خبره الفعلي، كما قدم الخبر على مبتدئه.

والفاعل على فعله. وقدم المتعلقة على الفعل في الجملة الفعلية، وعلى المبتدأ في الجملة الاسمية. ويعدّ هذا الأسلوب أحد الأساليب الشعرية المهيمنة على لغته، وحمل قيمة فنية وأخرى دلالية تحدّثت عنهما في المواضع التي وردتا فيها.

والحقيقة أن الدراسة انهمكت برصد الدلالات الهامشية التي حدّتها السياقات الشعرية، ولم تهمل الدلالة المعجمية فقد تطرّقت إليها قبل الخوض في الأولى وذلك لبيان الفارق بينهما. وغالباً ما يعنى الشعر - بصورة عامة - بتحميل اللفظة طاقةً رمزية وإيحائية وإنما ذلك التحميل هو من صميم العمل الشعري وصانع لهوية النص الشعرية.